رسالة صاحب الجلالة الملك محمد السادس إلى ندوة «العالم العربي وإفريقيا: تحديات الحاضر والمستقبل»

الرباط، 18 شعبان 1424 هـ الموافق 15 أكتوبر 2003 م

الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه،
أصحاب المعالي والسعادة،
حضرات السيدات والسادة،
إنه لمن دواعي ابتهاجنا، أن يلتئم بالمغرب البلد الإفريقي العربي، هذا اللقاء الهام بين نخبة من خيرة مفكري ومثقفي الشعوب العربية والإفريقية الشقيقة، حول بحث العلاقات الجامعة بينها، وذلك لتدارس انعكاسات تحديات حاضرها ورهانات مستقبلها، في محاولة للتعرف على السبل الكفيلة بتجديد مفاهيمها وتحديد مشاريعها، لولوج الألفية الثالثة برؤية واضحة واستراتيجية محكمة.
إن المغرب، الذي يعتز بكونه ظل على الدوام ملتقى لتفاعل الحضارات والثقافات، بفضل تشبثه بقيم الحرية والتسامح والانفتاح، وبكونه مد جسور انتشار الإسلام وقيمه المثلى بأسلوب حضاري متميز، لاسيما في غرب إفريقيا، ليقدر كل تقدير ما قامت به أقطار عربية وإفريقية أخرى، في شرق إفريقيا، وهكذا عرف تاريخنا المشترك تكريس تقاليد التبادل التجاري والثقافي والتفاعل الحضاري بين شعوبنا.
لقد كانت قوافل التجارة ووفود العلماء، وانتقال الرحالة بين إفريقيا والعالم العربي، من دعاة السلام والوئام وتمتين التعارف بين العالم العربي والإفريقي، مما كان له أبلغ الأثر في تداول العلوم والآداب والفنون، الأمر الذي أتاح لنا جميعا، وفي عصور لم يكن التواصل فيها ميسرا، الاستثمار الفعال لمعارفنا ومنتوجاتنا وإبداعاتنا المتنوعة، مثلما سمح بظهور تأثيرات متبادلة في طرق وأنماط العيش وفنون العمارة والموسيقى والصناعات اليدوية، وغيرها من ضروب النشاط الإنساني.
ومما لا شك فيه، أن هذه التجربة الفريدة، تعد اليوم درسا نموذجيا، في بناء علاقات وطيدة بين شعوبنا وحافزا قويا لها لمواصلة الدفاع عن المبادئ والمثل العليا التي نتقاسمها، وللإسهام الفاعل في تأسيس ثقافة كونية أصيلة، ترتكز على قيم الحوار والتعايش واحترام الآخر.
وإننا، لنتطلع إلى أن ينهض المثقف بدوره كاملا في ترسيخ هذا الإرث الحضاري وجعله مرتكزا لإشاعة قيم الإنسانية المثلى للسلم والإخاء والحرية والتسامح ومناهضة كل أشكال التمييز والتطرف والعنف والإرهاب، التي تنبذها الحضارة العربية الإفريقية.
وإذا كنا معتزين بهذا الإرث المشترك، مقتنعين بقدرته على مدنا بأسباب الاستمرار، وحثنا على المزيد من التضامن والتآزر لمواجهة تحديات اليوم، فإننا نتطلع إلى مد جسور جديدة بين أقطارنا، في وقت أصبحت فيه التكتلات الكبرى وسيلة من وسائل بناء القوة الاقتصادية والاجتماعية القادرة، على تلبية الحاجات المادية والمعنوية للمواطنين.
وانطلاقا من هذا المنظور، فإننا مطالبون بضرورة إعادة بناء العلاقات الإفريقية العربية، على أسس ثابتة وقوية، في عالم أصبح يتسم بالتنافسية الشديدة وهيمنة الاقتصاديات الكبرى، مما يجعلنا أمام خيار وحيد هو بناء المصالح المشتركة والاستثمار الأفضل للموارد المتاحة واستنهاض روح المبادرة، التي كانت دائما عنصرا من صميم ثقافتنا، لفتح آفاق جديدة للتبادل التجاري والثقافي، تمكننا من تراكم أفضل لخبراتنا، ومن تعبئة أكثر نجاعة ومردودية لثرواتنا ومؤهلاتنا الطبيعية والبشرية.
أصحاب المعالي والسعادة،
حضرات السيدات والسادة،
إن العالم من حولنا يتطور بوتيرة متسارعة، ويطالبنا في كل يوم بمجهودات إضافية، لإيجاد أجوبة ملائمة وجريئة لما يواجهنا من تحديات. وبالنسبة لعالمنا العربي الإفريقي، فإن قضايا الديمقراطية والتنمية وثقل المديونية والصحة والبيئة والهوية الثقافية وقضايا التربية والتعليم وأوضاع المرأة والطفولة وغيرها، من القضايا الملحة بأولويتها وحساسيتها، لم تعد تتحمل التأجيل أو الانتظار، لذلك وفضلا عما تقدمه السلطات العمومية والهيئات السياسية والاقتصادية وفعاليات المجتمع المدني من أجوبة عملية، فإن الحاجة باتت ملحة لبناء مقاربة شاملة، توظف مختلف الأبعاد بما فيها البعد الثقافي والفكري، فليس هناك أمامنا أي خيار لإنجاز تغيير حقيقي ونوعي في حياتنا بدون قاعدة فكرية وأخلاقية تربط بين الإنسان ومحيطه وتجعل الإصلاحات، التي ننهجها والمشاريع التي نختطها قائمة على إدراك عميق لحاجياتنا المادية والمعنوية، وعلى قناعة راسخة بكوننا لا نستطيع حل مشاكلنا بالوصفات الجاهزة، بل بابتكار صيغ نابعة من تراثنا وتطلعاتنا، مع إشراك واسع لكل طاقاتنا البشرية في بناء التصورات

وتنفيذها، وهو ما يتطلب إعادة الاعتبار لمقومات هويتنا الثقافية والعمل، من خلال ذلك على إيلاء عناية خاصة للإنسان كقيمة حضارية راسخة، وجوهر كل استراتيجية تنموية هادفة.

وكما قال والدي المنعم المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني، قدس الله روحه، فإن «المغرب يشبه شجرة تمتد جذورها المغذية امتدادا عميقا في التراب الإفريقي، وتتنفس بفضل أوراقها التي يقويها النسيم الأوروبي، بيد أن حياة المغرب ليست عمودية الامتداد فحسب، بل هي تمتد كذلك امتدادا أفقيا نحو الشرق، الذي نحن مرتبطون معه بالتالد والطارف من الصلات الثقافية. وحتى لو أردنا، ونحن لا نريد قطعا، فإنه من المستحيل علينا قطع هذه الصلات».

وإننا لواثقون بأن العلاقات العميقة القائمة على هذا المستوى بين العالم العربي وإفريقيا والمستندة إلى رصيد روحي ولغوي وحضاري هائل، ستشكل منطلقا لتفكير مشترك في المستقبل يهيئ المناخ الملائم، لبناء جسور اقتصادية وثقافية ثابتة، مستحضرين في ذلك ثراء هذه الأرض، التي تعد منارة للإسلام، والتشبع بتميزه بتكريم الإنسان وتقديس قيم التضامن والتسامح.

وإن المغرب، البلد ذي الهوية الموحدة الغنية بروافدها الأمازيغية والعربية الإسلامية والأندلسية والإفريقية والمنفتح على الحضارة الكونية، والذي جعل من تحقيق الوحدة الإفريقية التزاما دستوريا، سيظل في طليعة المساهمين في الحوار العربي الإفريقي وكذا مع فضاءات أخرى خاصة منها الإسلامي والأوروبي والأمريكي ودول الجنوب على وجه الخصوص.

حضرات السيدات والسادة،

لم يفتنا في قمة الجمعية العامة للدورة الحالية، أن أعربنا عن التزامنا الثابت بالتضامن الفاعل، مع الدول الإفريقية الشقيقة وتعميق التعاون معها، في الميادين السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية، ومساندة المبادرات الإفريقية البناءة، داعين المجتمع الدولي، إلى تقديم دعم ملموس لاستراتيجية «النيباد» التي تتوخى التنمية المستدامة للقارة الإفريقية.

كما لم يفتنا، في نطاق دعمنا المستمر للمجهودات الإفريقية، أن ألغينا ديوننا على البلدان الأقل نموا منها، وإقامة نظام جمركي تفضيلي لتشجيع صادراتها نحو المغرب.

وإن المغرب ليشيد بجهود كل الدول العربية والإفريقية، التي تعزز هذا الاتجاه، معولا على المثقفين والمفكرين من العرب والأفارقة، في أن يكونوا في طليعة المدعمين لعرى الأواصر الأخوية الإفريقية العربية، والمدافعين عن الخيارات الوحدوية في وجه كل مناورات التجزئة والانفصال، التي هي أشد خطرا على عالمنا الإفريقي العربي من أي تهديد آخر.

وفقكم الله ورعاكم وسدد خطاكم في سبيل دعم التوجه الإفريقي العربي المشترك، من أجل ضمان غد أفضل لشعوبنا وأجيالنا الصاعدة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.